# التـداوي بالقـرآن

# التداوي

# بالقرآن

إنَّ في القرآن شفاء، وفي القرآن هُدىً ورحمة.

فما المراد بالشفاء ؟

هل هو شفاءٌ خاصٌ لِمَا في الصدور من شَكٍّ وريب ؟

أمْ شفاءٌ عام لِمَا في الصدور والأبدان ؟

نودُّ أن نقف من ذلك على أمور:

**أولا:** وردت كلمةُ " شفاء " في أربعة مواضع من القرآن الكريم:

*** في سورة "يونس" الآية ٥٧:**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

*** وفي سورة "النَّحْل" الآية ٦٩:**

﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾.

*** وفي سورة "الإسراء" الآية ٨٢:**

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

*** وفي سورة "فُصِّلت" الآية ٤٤:**

﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾.

**ثانياً:** الواضح من سياق الآية في سورة "النحل" أنَّ المراد من قوله تعالى: ﴿ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ هو العَسَل.

وفي الآيات الأخرى المراد به هو القرآن الكريم.

وقد جمع الرسول ﷺ بينهما في قوله: « عَلَيْكُمْ بِالشِّفَاءَيْنِ: الْعَسَلِ، وَالْقُرْآنِ »[1]

فالقرآن شفاءٌ لما في الصدور، والعسل شفاءٌ من كل داء.

**ثالثاً:** للعلماء قولان في كون القرآن شفاء.

أحدهما- أنه شفاء للقلوب: بزوالِ الجهل عنها، وإزالة الريب.

شفاءٌ من الوسوسة، والقلق، والحَيرة، والهوى، والدَّنس، والطمع، والحسد، ونزغات الشياطين، وكافة العِلَل، التي تدمر المجتمعَ، وتذهب بأَمْنه وسلامته.

الثاني- شفاء من الأمراض الظَّاهرة بالرُّقَى والتعوذ.

فإنَّ القرآن شفاءٌ للأجسام إذا رُقِيَ عليها به.

كما تدل له قصة الذي رَقَى الرجل اللديغ بـ"الفاتحة" وهي صحيحة مشهورة.

ففي صحيح البخاري، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - رضي الله عنه -:

« أَنَّ رَهْطاً من أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْطَلَقُوا فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلُوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ.

---

(1) ابن ماجة: كتاب الطب.

فَاسْتَضَافُوهُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ.

فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ.

فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لاَ يَنْفَعُهُ شَيْءٌ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلاَءِ الرَّهْطَ، الَّذِينَ قَدْ نَزَلُوا بِكُمْ؛ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ.

فَأَتَوْهُمْ، فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ، إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ، فَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لاَ يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ شَيْءٌ ؟

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ، وَاللَّهِ إِنِّي لَرَاقٍ.

وَلَكِنْ ـ وَاللَّهِ ـ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ، فَلَمْ تُضَيِّفُونَا.

فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلاً.

فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ.

فَانْطَلَقَ، فَجَعَلَ يَتْفُلُ وَيَقْرَأُ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢... ﴾[1]

حَتَّى لَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ[2] فَانْطَلَقَ يَمْشِي مَا بِهِ قَلَبَةٌ.

قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ.

فَقَالَ بَعْضُهُمُ: اقْسِمُوا.

فَقَالَ الَّذِي رَقَى: لاَ تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا.

فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرُوا لَهُ.

---

(1) الفاتحة: ٢.

(2) أي: كأنما فُكَّ من حَبْلٍ كان مشدوداً به.

فَقَالَ: « وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ ؟ أَصَبْتُمْ.. اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ [1] »[2]

فالأدعية المأثورة، وتلاوة الفاتحة والمعوذات، وغيرها من وسائل الفَرَج والبُرْء، بإذن الله.

**رابعاً:** لا يعني هذا الاكتفاء بالرُّقَى عن المُداوَاةِ والعلاجِ بالأدوية النَّاجِعَةِ؛ فذلك كُلُّه من الوسائل التي أَذِنَ الشَّرْعُ بها، بل وأوجَبَها؛ لِصيَانَةِ الحياة؛ فإنَّ الله الذي أنزل الداء قد أنزل معه الدواء، عرف ذلك مَن عرفه، وجهله من جهله، ولكنَّ الله لم يجعل شفاء عباده فيما حرَّمه عليهم.

**خامساً:** ما يفعله بعض العَوامُّ من إهمال علاج المريض المبتَلَى بمرض يحتاج إلى طبيب متخصص، سواء في الأمراض الباطنية أو الجراحية أو العصبية، أو نحو ذلك؛ اعتماداً على مجرد التلاوة، فهذا جهلٌ بحقائق الدِّين، وإهدارٌ لِقَدْرِ العلم الذي وهبه الله للإنسان، وعظْمة، ورفع شأن علمائه والعاملين به.

فإنَّ الأدوية المباحة شرعاً ـ حسبما يعرفه علماء الطب والمعالجة بما يناسب منها ـ من باب الأسباب التي أمرنا بالأخذ بها، ولا منافاة بينها وبين التوكل على الله.

**سادساً:** من الخير أن يجمع الإنسان بين الرُّقَى بالقرآن، والإخلاص

---

(1) أَي: اجْعَلُوا لِي مِنْهُ نَصِيبًا.

(2) البخاري: كتاب الطب.

في الدعاء، وبين التداوي بالأسباب العادية المناسبة للداء، بعد مراجعة المتخصصين في الطب ومعرفة الدواء.

ولكن لا يجوز للمريض أن يذهب إلى الكَهَنة، الذين يدَّعون معرفة المغيبات؛ ليعرف منهم مرضَه، أو يستحضرون الجنَّ؛ ليستعينوا بهم على ما يريدون، فإنَّ ذلك قد يفضي إلى الكُفْرِ والضلال.

**سابعاً**: مع الأخذ بالأسباب التي شرعها الله، على الإنسان أن يكون ـ دائماً ـ على يقينٍ بأنَّ الأمر كله لله، فلا يسند الفضل في شفائه إلا لله ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾[1]

فإنَّ الأخذ بالأسباب طاعة..

وإبطالَ الأسباب ـ التي شرعها الله ـ معصية..

وإسنادَ الفضل لغير الله مفسدة ومضيعة..

وشُكْر الناس لا يُناقض ذلك؛ فإنَّ « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ »[2]

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾.[3]

* * *

(1) الشعراء: ٨٠.

(2) الترمذي: كتاب البر والصلة، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(3) آل عمران: ١٠١.

# الخاتمة
## عود على بدء

# الخاتمة

## عَوْدٌ على بَدْءٍ

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾ [1]

إنَّ الترتيب الذي نراه في هذه الآيات من سورة "الرحمن" يُوحي بما يجب أن يكون، من جعل القرآن صلة بين الإنسان والرحمن..

فإنَّ كتابَ الله سببٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض.

لن تعمى الأبصارُ، ولن تضل القلوبُ، ولن تزلَّ الأقدام ما اعتصمت به.

« أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله ؟ »

قالوا: نعم.

قال: « فإنَّ هذا القرآن سببٌ، طَرَفُهُ بيد الله، وطَرَفُه بأيديكم.

فتمسكوا به؛ فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً ».

**القرآن والإنسان.**

القرآن يُرَى عملاً في سلوك الإنسان. من أجل ذلك جعل الله الأسوةَ بمَن « كانَ خُلُقُه القرآن ».

فإنَّ للإنسان شئونه وقضاياه..

وله مشاكله وحاجاته وضروراته..

وللشيطان مع الإنسان نزعات وفِتن ومُغريات.

وللنفس رغبات ونزوات وتطلعات.

---

(1) الرحمن: ١ ـ ٤.

وفي كل عصر قضايا ومستجدات.

وللإنسان أَجَلٌ محدود، مُسمًّى عند الله، لا عند الناس..

وللدنيا غرورُها وبلاؤها، وكُلُّ ما فيها إلى زوال.

وللآخرة زادُها وخيرها، وهي دارُ القَرار.

والإنسانُ ـ بأجله المحدود في الدنيا المدبرة ـ يقتربُ ـ في كل لحظةٍ ـ من آخِرةٍ مُقبلةٍ.

ولا شَكَّ أنَّ الإنسان أحوج ما يكون إلى دوامِ الصِّلة بالله، وهو راجع ـ لا محالة ـ إليه، ومحاسَب بين يديه.

والصلة بالله في الاعتصام بحبل الله، والاقتداء برسول الله.

والصلة بالله لدنيا الإنسان وأُخراه، ولا غنى له ـ في كل لحظةٍ ـ عن عَوْنٍ وتوفيقٍ من الله.

من هُنا رأينا رسولَ الله ﷺ يُجمل لنا ما يؤدِّيه القرآنُ لِمَن استمسك به، مِن عِصمةٍ ونَجَاةٍ، حيث قال ﷺ:

« أَلاَ إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ ».

قيل: مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

قَالَ: « كِتَابُ اللَّهِ.

فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ.

وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ.

وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ..

هُوَ الْفَصْلُ، لَيْسَ بِالْهَزْلِ.

مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ.

وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ.

وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ.

وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ.

وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ.

هُوَ الَّذِي لاَ تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ.

وَلاَ تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ.

وَلاَ يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ.

وَلاَ يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ..

وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ.

..... مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ.

وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ.

وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ.

وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »[1]

وَيَا لَهُ من فضلٍ، ويا لَها من رحمة، أن تكون الصِّلَةُ بين الخالق والمخلوق ـ بهذه الصفة ـ محفوظةً ميسرة.

ولا حُجَّةَ ولا معذرةَ لِمَنْ جاء القرآنُ يوم القيامة حُجَّةً عليه، لا له.

فإنَّ القرآن شافِعٌ مَاحِلٌ. مَنْ شَفَعَ القرآنُ له نَجا وفاز، ومَن كان

---

(1) الترمذي: كتاب فضائل القرآن، وقال: هَذَا حَدِيثٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ. وَفِي الْحَارِثِ مَقَالٌ.

القرآن حُجَّةٌ عليه خَسِرَ وَهَلَكَ.

روى أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال:

« القرآن شافع مشفعٌ، وماحلٌ[1] مصدق، من شفع له القرآن نجا، ومن محل به القرآنُ ـ يومَ القيامة ـ كَبَّهُ اللهُ لوجهه في النار، وأَحَقُّ مَن شَفَعَ له القرآنُ أهلُه وحَمَلَتُه ، وأوْلَى مَن مَحل به مَن عَدَلَ عنه وَضَيَّعه »

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال:

« إنَّ هذا القرآن شافعٌ مشفعٌ، مَن اتَّبَعَهُ قَادَهُ إلى الجنة، ومَن تَرَكَهُ ـ أَوْ أَعْرَضَ عنه ـ دح[2] في قفاه إلى النار »

فَطُوبَى لِمَنْ كان الكريمُ شفيعه.

وَوَيْلٌ لِمَنْ كان الذِّكْرُ الحكيمُ خصيمه.

طُوبى لقلوبٍ وبُيُوتٍ استنارت بنُور القرآن، فحفَّتها الملائكة، وغشيتها الرحمة.

وَوَيْلٌ لقلوبٍ وبيوتٍ خَلَتْ منه، فاستحوذ عليها الشياطين.

روى الترمذيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ »[3]

وقال رجلٌ لأبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: إنَّ إخواناً لك من أهل

---

(1) الماحل: الخَصْمُ والمنازع.

(2) الدَّحُّ: الدَّفْعُ بعُنف.

(3) الترمذي: كتاب فضائل القرآن، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الكُوفة يُقرئونك السلام، ويأمرونك أنْ تُوصيهم.

فقال: « أقرئهم السلامَ، ومُرْهُم فليُعطوا القرآنَ خَزَائِمَهُم[1]؛ فإنه يحملهم على القَصْدِ والسهولة، ويُجنِّبهم الجَوْرَ والخُزُونة ».

وذلك من فقه القرآن.

فإنَّ مِن فِقْهِ القرآنِ أن نعرفَ ما يحملنا القرآن عليه وما يهدينا إليه

يحملنا على العدل والقسط، ويُجنبنا الجور والظلم.

يحملنا على السهولة واليسر ويجنبنا الصعوبة والعُسر.

فعلى الإنسان أن يعدل به في كل شيء.

في القول: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ ﴾[2]

وفي الحُكم: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾[3]

وفي الشهادة: ﴿ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ﴾[4]

وفي الكتابة: ﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ﴾[5]

في كل شيء يقودنا القرآن إلى العدل؛ حتى لا نظلم أنفسنا، أو نظلم غيرَنا، أو نظلم الحقيقةَ حيث كانت مع عدوٍّ أو صديقٍ، أو قريبٍ

---

(1) المعنى: يَنقادُونَ له، ويُطيعون أمرَه. والخزامة: حَلَقَةٌ من الشَّعْرِ تُوضَعُ في ثقب البعير، يُشد بها الزِّمام فَيَنْقَاد.

(2) الأنعام: ١٥٢.

(3) النساء: ٥٨.

(4) الطلاق: ٢.

(5) البقرة: ٢٨٢.

أو بعيد.

ومن أجل ذلك أرسل الله الرسلَ بالبينات، وأنزل معهم الكتاب والميزان؛ ليقوم الناس بالقسط.

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ ﴾.[1]

والميزان هو العدل الذي ثبَّتَهُ الله في الأرض، ونَهَى أن يقعَ التجاوز فيه بقوله: ﴿ أَلا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ ﴾

والله قد خلق السماوات والأرض بالحق والعدل؛ لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل.

ولهذا قال الله: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ ﴾

ليعلم أن القيامَ بالقسط وسطٌ، لا يقبل الطغيان أو الخسران.

إذ الطغيان فيه أخذُ الزائد.

والإخسار: إعطاء الناقص.

والقسط: التوسط بين الطرفين المذمومين.

ولهذا قال "القرطبي" في قوله: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ أي: افعلوه مستقيما بالعدل.

وقال قتادة في هذه الآية:

---

(1) الرحمن: ٧ ـ ٩.

« اعدل ـ يا ابن آدم ـ كما تُحبُّ أن يُعْدَلَ لك، وأَوْفِ كما تُحبُّ أن يُوفَّى لك؛ فإنَّ العدلَ صلاحُ الناس ».

وذاك ما أمر به الله، الذي خلق السماوات والأرض بالحق، وأنزل الكتاب والميزان.

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ.... ﴾[1]

وقد أعان الناسَ على تحقيقه، فأنزل الحديدَ فيه بأس شديدٌ، ومنافع للناس؛ ليُقامَ العدل كما أمر الله، بلا طُغيان أو خسران.

وفي الحديد بأس شديد يُرْدَعُ به مَن بغى؛ حتى يفيء إلى أمر الله.

وفي الحديد منافعُ للناس لا تُصانُ إلاَّ بالعدل.

والعدل لا يتحقَّق إلاَّ بتغليب أمر الله على هوى النفس.

والإنسان مسئول عن صلاح نفسه قبل أن يُطْلَبَ منه إصلاح غيره.

« ومُعلِّم نفسه ومؤدِّبها أَحَقُّ بالاحترام من مُعَلِّمِ الناس ومؤدبهم ».

والإنسان الصالح تصلح به الأمور الفاسدة.

والإنسان الفاسد تفسد به الأمور الصالحة.

من هنا كان هدف القرآن هو الإنسان، الذي علَّمه الله ما لم يكن يعلم.

وتلك قضية الحياة « ابتلاءٌ.. وفتنةٌ.. وامتحانٌ » يُمْتَحَنُ الناسُ فيها بما أنزل الله من كتاب، وبما وضع من ميزان.

---

(1) النحل: ٩٠.

ليعلم الله مَن ينصره، ويُؤثر رضاه، ومَن يخذله، ويُؤثر هواه.

وفي نَصْرِ الله نَصْرٌ للفضائل والمكارم، التي تُصان بها كرامة الإنسان « والله غنيٌّ عن العالمين ».

ومن رحمته بخلقه أن جعل نَصْرَ العدل، والحق، والأمانة، والبرِّ، ومكارم الأخلاق، نَصْراً له؛ لينعم الناسُ بالسلام والأمن حقيقةً لا ادِّعاء، وهم يعبدون إلهاً واحداً، ولا يتخذ بعضُهم بعضاً أرباباً.

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾.[1]

* * *

(1) الحديد: ٢٥.